شـــــلر

SCHILLER

دراسة تحليلية لطفولته وحياته وشعره

بقلم الدكتور على مظهر

ليس من شك مطلقا ، فى أن شخصية شلر من أبرز الشخصيات الألمانية ، التى تركت أكبر الاثر فى نفوس شعراء المانيا وأدبائها وشبابها على الاطلاق، بل لا نغلو مبالغين فى القول، حين نزعم ان شلر أثر فى الادب العالمى كله.

واذا كانت مثل هذه الشخصية الفذة جديرة بالدراسة والتحليل ، فان الاستاذ الكاتب الذى تعرض لتلك الدراسة قد وفاها حقها ، لانه أحد أولئك القلائل ، الذين درسوا الادب الالمانى خير دراسة ، وأتقنوا لغة الالمان أتم اتقان .

ذلك هو الاستاذ الدكتور على مظهر ، أول مصرى حصل على دكتوراه فى الآداب من جامعة فينا .

المحرر

ولد (يوهان كريستوف فردريش شلر) يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٧٥٩ بمدينة مرباخ الصغيرة (بفورتمبرج) . وكان والده جراحا، وعند ما ابتدأت حرب السبع سنوات تطوع كجندى فى جيش فورتمبرج وأصبح ملازما . ثم صار يرقى حتى أصبح «بكباشيا» ؛ ثم مديراً لحدائق ومغروسات قصر « الوحدة والانفراد Solitude» . أما أمه اليزابت فكانت ابنة صاحب خان فى مارباخ ، وكانت مثال للمرأة التقية البارة، ذات ميل طبيعى للشعر، وقد ورث عنها ابنها كثيراً من مميزاتها وصفاتها . ولما كان مركز والده كثير التبدل، وكانت أسرته كثيرة التنقل والترحال، فقد تعلم الصبى فى عدة أماكن مختلفة ، ولما كان أبوه فى (لورش) الواقعة على الرمس — أحد الأماكن على الحدود — كضابط للتجنيد هناك، فقد تعلم الصبى شيئا على الواعظ موزر، وقد ذكره شلر بعدئذ فى «الفصوص»، ثم تعلم فى المدرسة اللاطينية بلود فجزبورج، وكانت رغبته إذ ذاك منصرفة الى دراسة اللاهوت ، فقد كان وهو فى منزل أبيه يطالع باشتياق وشغف التوراة، لاسيما المزامير وأنبياء العهد القديم ولوثر وباول جرهارت وأغانى جلرت ، ثم ما لبث أن سلك طريقاً جديداً فى دراسته ، ويرجع السبب فى ذلك إلى المرتزوج كارل أوبجين (ولد سنة ١٧٢٨ وتوفى سنة ١٧٩٣) ، وكان هذا أميراً جم المواهب كبير العقل ، وكان انغمس فى الملذات الحارة انغماسا بلا حذر أيام شبابه ، وأنشأ معهداً للعلوم العسكرية فى قصر أنسه

وسروره « الوحدة والانفراد » ، وقبل شلر الصغير فى ذلك المعهد بناء على رغبة الفرتزوج نفسه الذى فتح تلك المدرسة وجعلها خاصة بأبناء ضباطه ، ومنذ ذلك الحين ترك دراسة اللاهوت، وقضى فى تلك المدرسة من سنة ١٧٧٣ إلى سنة ١٧٨٠ ، ولم يكن اللاهوت فى جملة برامج تلك المدرسة ، وهو أمر أحزنه وأحزن والده أيضاً ، ولما نقلت تلك المدرسة إلى اشتتجارت ، وأطلق عليها اسم معهد فى سنة ١٧٧٥، رأى أن يدرس الحقوق والقوانين ، ولكن لما أصبح الطب يدرس فيها رأى أن يختاره .

ولقد كانت التربية والتأديب هناك عسكرية ، وكان الاختلاط بالعالم الخارجى محظوراً عليهم ما أمكن ، وكان التضييق عليهم شديداً ، ومع ذلك أمكن الطلبة فيه مطالعة (روسو وأوسيان) وقصة المسيح لكلوبشتوك وجتر وفرتر من تأليف (جوته وأوجولينا جرستنبرج) وكتب أخرى عدة ، وكانت تطالع تلك المؤلفات بشوق وشغف ، وقد أخذت قصة المسيح لكلوبشتوك بلب شلر وأثرت فيه تأثيراً كبيراً ، وبدا له أن يكتب قصيدة حماسية وأن يجعل بطلها موسى ، أما المؤلفون الآخرون فقد وجهوا عنايته إلى الماسى : لا سيما ما رآه فى شكسبير الذى قرأ تراجم لمؤلفاته بواسطة فيلاند، وقد استرعى ذلك كله مابنفسه من استعداد لذلك النوع من القريض ، وتزاحمت فى رأسه مواضيع عدة لفواجع كبرى ، وبدأ يكتب اثنتين ، منها : طالب (روساو) و (كوز موس فون مديتشى) مقلدا فى ذلك (بوليوس فون تارنت) ، وما لبث أن قضى على هاتين ولم يبق عليهما من أثر ، وأخرج « اللصوص » مكانهما للناس، وهى خير ما كتبه فى صباه ، وكان بدأ فى نظمها لما كان عمره ثمانية عشر عاما، وهو فى معهد كارل ، والناس لا تعلم مايفعل ، ولكنه أظهرها سنة ١٧٨١ لما ترك المعهد ، وأصبح جراح الفيلق باشتتجارت ، وفى السنة الثالثة جعل القصة فاجعة تمثيلية للمسرح .

اللصوص : من آثار عصر الاندفاع والعواصف ، فأنت ترى فيها اندفاع الشاعر الشديد لطلب الحرية ، وتغيظه من قيود الظلم والعسف : التى تعجز حمية الروح الحرة ، كما أن الغضب المتزايد إلى حد الغيظ يجعل الانسان غير راض على النظام الموجود فى هذا العالم ، وملخص القصة أن كان للحاكم (جراف ما كسميليان فون مور) ولدان أسماهما كارل وفرانتز، كان يذهب أولهما إلى الجامعة ، أما الثانى فكان نزيل القصر يعيش فيه، وكان كارل ذا طبيعة وثابة متوقدة، إلا أنه لما كان فى جامعة ليبتزج اندفع وراء بعض ضروب الحيل الجنونية، وهو فى زهو الشباب ونزقه، ولما تولته الندامة سأل والده الصفح، ورغب فى العودة إلى القصر ليعيش إلى جانب محبوبته الغالية (أماليا) عيشة الحياة والرفاء ، وكان والده الطيب القلب يميل إلى العفو عن ولده هذا الخائف التائب ؛ ولكن ولده الثانى كان يعرف كيف يحول دون ذلك ، وكثيرا ما كان يحسد أخاه كارل المدلل ، وكان ساخطا على حياته ، غير قانع بما قسمه الله له ، إذ خلقه

كئيبا وجعل أخاه يبذه ويقدمه ، إلا أنه رأى فيما حدث أحسن فرصة للانتقام لنفسه من أخيه والقضاء عليه ليصبح هو سيد المنزل ورب الدار. وذلك بالكذب على أبيه وأخيه، وقد نجحت أعماله الشيطانية وحيله الإبليسية. واعتقد الوالد العجوز الخرف: أن ابنه مطلوب بتعقبه الجند والشرطة : نظرا لجرائمه السافلة ، واعتقد كارل أن أباه يلعنه: وأنه قد أخطأ فى أمله فى طلب الصفح عنه ، وملىء قلبه غيظا وحنقا وكراهية للبشر بأجمعه : ونزعت من قلبه كل أنواع المحبة فوضع نفسه على رأس شرذمة من اللصوص وقطاع الطرق ليصلح الدنيا بواسطتهم ، وظن أنه يمكنه كزعيم لقطاع الطرق أن يطهر هذا العالم الفاسد بواسطة السيف والنار: ويقطع بسيفه الدامى الدموى : المظلوم والظالم ، والبرىء والطاهر ، أما والده التعيس فأنه أطلق سراح أخيه فرانتز وكان قد أودعه فى برج مهجور . وتركه يشكو الجوع فريسة للموت والمسغبة ، ومات الأب بعدئذ ، وعلم ابنه ذلك أنه ليس بالرجل الذى يجب عليه حمل سيف العدالة العليا للانتقام. وأنه إنما أضاف إلى ظلمه ظلما : وقتل (أماليا) صديقته التى لبثت على وفائها له رغم كل ما أتاه معها أخوه (فرانتز) من ضروب الحيل الشيطانية ، ثم أسلم نفسه لقصاص العدالة .

وترى أن (كارل) نبيل الطباع، ولكن شرور الناس هى التى دفعته إلى الأجرام والسرقة فكان من المخطئين ، وقد رأى أن خير علاج لما بالعالم من شرور: أن يأتى بما يخالف القوانين ، فكأنما كان من أنصار المبدأ القائل « وداونى بالتى كانت هى الداء » .

أما اخوه فرانتز فهو شرير بطبيعته ويعلم ذلك : وأراد أن يكون كذلك منافقا خبيثا كل الخبث ، لايعرف أى حب ، وليس له نصيب من التقوى والصلاح: ولذا كان عقابه والانتقام منه قريبا ، ولما واجه الموت محا ضميره من غفوته وسباته الطويل: ولم يتوله الندم : ولكن تملكه فقدان الأمل فقضى على أنفاسه بنفسه برباط قبعته الذهبى : وترى فى ختام الرواية فوز القانون الخلقى فى هذه الدنيا وفى أنظمتها .

والقصة ملأى بالحوادث الحية الفعالة ، عشوة بكثير من الاحساسات الصحيحة . ولكن كانت تنقصها أشياء عرفها شلر فيما بعد ، وأشار إليها فى نقده مأساة قطاع الطرق ، ورغم ذلك فانها حين مثلت بمانهايم سنة ١٧٨٢ لأول مرة . وحضرها كثير من العظماء : حازت إقبالا كبيراً، واسترعت كثيراً من الأنظار إليها ، أما الهرتزوج كارل أوجين فكان أقل الناس اغتباطا ، فشدد على الشاعر وحرم عليه ألا يطبع إلا ما كان خاصا بالطب ، ولما أراد شلر أن يسافر إلى مانهايم بدون إذن له بذلك ليحضر تمثيل « قطاع الطرق » أمر الهرتزوج بالقبض عليه ، لأنه كان قد أصدر ذلك التحريم المشار إليه ، وحرم عليه كتابة أى شىء من الشعر ، وكان قد بدأ بكتابة شىء جديد، فرأى أن يضحى بوظيفته كجراح للفيلق، ولأجل الشعر القريض يضحى بالمركز والأسرة والوطن ، وترك الخدمة سنة ١٧٨٢ ، وفر هو وصديقه

الموسيقار (اندرياس شترايشار) إلى مانهايم، وعلق على (الفرايهر فون دولبرج) آماله، إذ كانت علاقته جيدة مع بلاط دوق تمبرج . لكى يصلح ما بينه وبين المرتزوج من شقاق، كما طمع فى معونة مالية ؛ ولكنه لم يفز من ذلك بطائل لغضب المرتزوج عليه ؛ فدعته سيدة إلى ضيعة لها ؛ وأحسنت مثواه وعاش عيشة الوحدة بعيداً عن العالم ؛ وتعرف بأمين خزانة كتبه هناك ، فصاهر الشاعر بعدئذ وبنى بأخته .

وفى تلك المدة : أتم شلر مأساته الثانية " Die Vers choerzung des Fiesko zu Genua „

مؤامرة فيسكو الجنوى

وهى فاجعة جمهورية ظهرت سنة ١٧٨٣ ؛ وهى من آثار ذلك العهد ، عهد الاندفاع والعواصف المعروف فى الأدب الألمانى ؛ وبينا تلحظ فى « قطاع الطرق » ما علا مناظرها وفصولها من شائنات وعنف، تلحظ فى الثانية أن (فيسكو) يرغب فى هدم نظام الحكومة البالية من طريق الحب والخديعة والدهاء، وحوادث الفاجعة كانت فى جمهورية جنوا لما كانت فى عنفوان قوتها، أيام (اندرياس دوريا) العجوز، الذى أحسن الإدارة فيها، وجعل لها عصراً زاهراً أيام حكومته، ولكن ما لبثت أن حفت بها الأخطار أيام ابن أخيه العيهور البذىء الوقح (جيانا تينو) وكادت تفقد حريتها القديمة الموروثة، ويختل دستور جمهوريتها . ثم اختمرت الأفكار فى رؤوس الوطنيين فيها للتفكير فى حالها بعد ما زاد تدبرهم ؛ وأراد (فيسكو جراف فون لافانيا) أن يستفيد من تلك الحالة ومن عدم الرضا ، وأن يقود المؤامرة بنفسه لقلب نظام حكومة (دوريا) لتحرير جنوا ؛ وما لبث بعد ما حازه من سلطان وبأس أن حدثته نفسه بالطمع وحب الرياسة ؛ فسعى لأن ينادى بنفسه أميراً على تلك الجهات بدلا من المحافظة على دستورها والعمل به ؛ فنصحت له زوجه ليونورا — وكانت مثال الملاك الطاهر بالنسبة له — أن يرجع عن عزمه وأن لا يضل السبيل، كما استحلفه (فرينا) أكبر جماعة المتآمرين الجمهوريين الأشداء ؛ ولكن لم يجد النصح ولم تنفع معه النصيحة، واستمر فى غوايته وشروره وانتهى أمره بأن خلع الجمهوريون نيره وقضوا على حكومته .

وبينا تراك تلحظ الخيال الدفب السلس فى « قطاع الطرق » إذا شلر يسعى لتصوير صور تاريخية ثابتة فى قصة فيسكو هذه، وبدأ يسلك الطريق التى وصل إلى نهايتها ؛ وإلى ذروة الغاية التى قصدها فى باب المآسى ؛ ولما كانت تجارب الشاعر فى مدرسة الحياة السياسية ضئيلة، فيلحظ فى أشخاص مأساته هذه أنهم غير عاديين ؛ وأن صورهم غير واضحة وغير تامة ، ولا تطابق ما نراه فى حياتنا اليومية ؛ ولذا ترى أن هذا الجزء من آثاره ليس به من الحقيقة والشعور الحى والإحساس الرقيق مثل ما « بقطاع الطرق » ؛ ولهذا [illegible]

وأعقبت هذه فاجعة « الخديعة والحب » ، وهى فاجعة خاصة بالطبقة الوسطى من الناس ،

ظهرت سنة ١٧٨٤، وكان اسمها الاول لويزا ملرين ، وقد وضع الخطة أيام كان بشتتجارت ، أثناء القبض عليه لمدة أربعة عشر يوما . وقدبدأ يعمل ويكتب فيها وهو فى نزل رقيق الحال. وهى ثالث أثر من آثار شلر،وعليها مسحة« الاندفاع والعواصف» وقد صدرت من نفس حزينة غاضبة . أراد أن يقول فيها إن النبل والسمو فى هذه الدنيا الفاسدة قد بذهما الفساد والقحة ، وقد صور الشاعر فى (الخديعة والحب) حياة البلاط بما فيها من رذائل وعيوب وآثام، وإلى جانب ذلك،جماعة من الناس الفضلاء قليلى المعرفة.. وقد ديسوا بالأقدام ، وترى الشاعر يصف لك فى تلك الفاجعة حياة بلاط عطن فى شقة من الأرض قليلة المساحة ، يبيع أميرها أبناءها ليجندوا ويرسلوا إلى أمريكا ويشترى بثمنهم حلة لعشيقته .

وقد أشار بذلك إلى الهرتزوج كارل أوجين فون فورتومبرج ، وجريفين فون هوهيهايم، وبالفاجعة مبالغات وأشياء غير طبيعية كما هو الحال فى آثار عصر الاندفاع والعواصف .

كما أن لغتها أكثر مما يلزم لها ، وترى فى أشخاص الفاجعة كلا فى هيئة خاصة أفرادا كما تصورهم هو ، وقد ترك عالم الأحلام المتسامى إلى المثال الأعلى ، وانخفض إلى الحياة العملية الحاضرة.ولما مثلت تلك الفاجعة كان أثرها عظيما فى النفوس ، ولبثت حينا من الدهر من أحب القطع التمثيلية إليه ، إلى جانب (قطاع الطرق)، ولا تزال إلى الآن من المآسى الشعبية القوية .

ثم إنه أظهر مجموعة من القصائد الغنائية أسماها «مجموعة الزهور والأشعار» ، وقد نظمها يافع شبابه المتقد حماساً ، وعليها طابع (الاندفاع والعواصف) وكانت لا هيئة لها ، ضخمة الأسلوب جوفاؤه ، غرامية تلحظ منها شدة الاندفاع وراء الحرية ، ومن خيار قطعها (عظام العالم) و (الجراف ابرهارد الباكى) ثم (الموقعة) .

ولما أرسلت مأساته (الخديعة والحب) إلى مسرح مانهايم ، استدعى سنة ١٧٨٣ لأن يكون شاعر دار التمثيل هناك ، فأصدر مجلة (الرين) التى اختص دار التمثيل بها ، ثم أسماها بعد ذلك مجلة (تاليا الجديدة) وأخذ يكتب مأساة جديدة اسمها (دون كارلوس) ، وقد نشر استهلالاتها الأولى فى مجلته ، وقرأ الفصل الأول منها فى حضرة الأمير (الهرتزوج فون فيمار كارل أوجوست) بمدينة دارمشتاوت ، فأنعم عليه بلقب مستشار (ساكسون فيمار) ، ثم سئم شلر الاقامة فى مانهايم ، وساءت حالته الظاهرة،لأنه لم يتمكن من إتمام الرواية التمثيلية التى كان قد وعد دار التمثيل باتمامها قبل نهاية العام ، ولم يلبث أن وصلته دعوة بالذهاب إلى ليبتزج، وكان السبب فى تلك الدعوة كورنر الذى أراد أن ينتشل شلر مما هو فيه من الضيق والعوز بطريقة مشرفة نبيلة ، ولبث إلى جانبه صديقا صادقا ، وكان لحكمه على الشاعر وبيان ما هو عليه أكبر مساعد وعضد له فى حياته . أما ذلك الصديق فهو كريستوف جوتفريد كورنر (ولد بليبتزج سنة ١٧٥٦) ، وكان مدرساً بجامعة ليبتزج ثم شغل منصباً كبيراً فى درسدن، وعين أخيراً مستشاراً سرياً لحكومة روسيا ، وقد توفى ببرلين سنة ١٨٣١ ، وهو والد تيودور كورنر الشاعر . إلى هنا تنتهى طفولته وسنتكلم على حياته فى العدد الآتى ؟

على مظهر